

## سيمائية الخطاب السياسي: الشعر في الحجاز نهاية عهد الدولة العثمانية أنموذجاً

**Political discourse semiotics: Hijaz poetry at the end of Othman empire**

**Ciri semiotik wacana politik: Syair Hijaz pada akhir tempoh Empayar  
Othmani**

فيصل بن صالح الزهراني\*

### ملخص البحث:

يعد الأدب العربي في إقليم الحجاز جزءاً من أدب الأمة العربية الجميل؛ لكن الدراسات الأدبية لا تزال غير كافية على الرغم من بذل بعض الباحثين جهوداً لجمع مادته الأدبية التي لا يزال كثير منها مخطوطاً أو مفقوداً أو مخفياً لأسباب متعددة. يبحث المنهج السيميائي عن المعنى من خلال البحث عن الاختلاف الداخلي للمعاني عبر المنهج السيميائي لتحليل الخطاب الشعري؛ وذلك من منطلق المنهج السيميائي في دراسة النصوص الشعرية والتي تؤكد أنها تتكون من نظام لغوي يعطي مجموعة من المعطيات الخاصة، وهذه الرؤية أسقطها المنهج السيميائي على أغلب النصوص الإبداعية، مع تميز النص الشعري بقدرته على اختزال المعنى، وتسعى هذه الدراسة إلى تتبع الشعر السياسي في الحجاز والوقوف على الدلالات التي يبرزها التحليل السيميائي من خلال المعنى الشعري، وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تبدأ بمقدمة تعرف ببعض المصطلحات الهامة مثل: إقليم الحجاز، السيميائية، الشعر السياسي، وستقوم عناصر التحليل لعدة مستويات: تبدأ الخطاب العام، والمستوى المعجمي، والمستوى التركيبي، ثم المستوى التركيبي.

**الكلمات المفتاحية:** الشعر السياسي - السيميائية - الخطاب العام - المستوى المعجمي - المستوى التركيبي.

### Abstract

Arabic literature in Hijaz area is a part of magnificent Arabic literature. Much of literary works are still missing for many reasons despite the effort of some researchers

\* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

أرسل البحث بتاريخ: ٢٢/١٠/٢٠١٧م، وقبل بتاريخ: ٢/٤/٢٠١٨م.

in collecting and recording them. The semiotic approach looks into meaning by examining its internal differences through semiotic method to analyze poetic discourse. The semiotic approach helps in studying the poetic texts that reveal that it contains a language system that implies certain inputs. This very method helps to reveal such a perception on most of creative texts, with the distinction of the poetic text as having the ability to compress meaning. This paper aims at tracking the political poems in Hijaz and dwell on the meaning revealed by the semiotic analysis through the poetic meaning. The study makes use of the descriptive analysis method. It begins with the definition of some significant terms such as: Hijaz, semiotics, political poems; the analysis is based on certain levels: it begins with the general discourse, lexical and phrasal levels.

**Keywords:** Political poems, semiotics, general discourse, lexical level, phrasal level.

### **Abstrak**

Satera Arab di Hijaz adalah sebahagian daripada kesusasteraan yang gemilang. Namun masih banyak karya-karya yang masih hilang disebabkan banyak faktor walaupun usaha-usaha para pengkaji dalam mengumpul dan merekodkannya. Pendekatan semiotik ini melihat aspek makna dengan melihat perbezaan dalaman melalui metod semiotik untuk menganalisa wacana syair. Pendekatan ini juga menolong menyingkap sistem bahasa tertentu yang menandakan input tertentu. Ia juga menolong menyingkap untuk menyerlahkan persepsi tertentu tentang kebanyakan teks kreatif, terutamanya kelebihan teks puitis untuk memampatkan makna. Kajian ini bertujuan untuk mengesan syair-syair politik di Hijaz dan mengkaji makna yang diserlahkan melalui analisa maksud puitis. Kajian ini menggunakan metod analisa deskriptif. Ia dimulakan dengan definisi beberapa terma penting seperti: Hijaz, semiotic, syair politik; analisa yang dibuat adalah berdasarkan kepada beberapa tahap: ia bermula dengan wacana umum seterusnya tahap-tahap leksikal dan phrasa.

**Kata kunci:** Syair politik, semiotic, wacana umum, tahap leksikal, tahap frasa

## مقدمة:

اختلفت أساليب قراءة النص الأدبي باختلاف الأطر النقدية المتنوعة المتأثرة بالنظريات اللغوية والبلاغية والفلسفية، وأدى هذا التنوع إلى اختلاف قراءة النص الأدبي وتفسيره، والمنهج السيميائي أحد هذه المناهج الحديثة المسهمة في تقديم قراءة خاصة للنص؛ من خلال تحليل العلامات والدلالات الخاصة للخطاب والمضمون للنصوص الأدبية، معتمداً في ذلك على مجال اللسانيات النصية المهمة بدراسة النص على أساس النظرة الكلية القائمة على إدراج ذلك النص في كيان أكبر، وهذا يفسر معنى الاتجاه أو الخطاب الأدبي، وهذا ما يعرف بالإبلاغ الأدبي المتأثر بعوامل تكوين الشخصية الأدبية المتغيرة بتغير محددات مختلفة كشخصية المبدع، والمؤثرات الداخلية، والخارجية المتصلة به، والتي تؤثر بشكل كبير في عملية الخلق والإبداع الأدبي.<sup>١</sup>

وبهذا ركزت السيميائية على دراسة المتتابعات العلاماتية في العمل الأدبي، فالعلامة إشارة شارحة لبعض الدلالات الخاصة في النص الأدبي، فهي في مجموعها تكون منهجاً نقدياً خاصاً من خلال جمع تلك العلامات، ومحاولة فك شفراتها بين طريقي الدال والمدلول، فكل نسق وعلامة من العلامات يعتبر شفرة لها مدلولاتها ووظيفتها الخاصة في النص الأدبي.<sup>٢</sup>

وبهذا يمكن القول بأن المنهج السيميائي -العلاماتي- منهج حديث يسعى إلى جمع العلامات والدلالات وتحديد دورها، وغالباً ما تختلف تلك العلامات باختلاف التفسير السيميائي لها، وهذا يعطي المنهج السيميائي اتساعاً؛ بحيث يشمل الخطاب الأدبي ويتعدى إلى بقية الخطابات الأخرى، كالخطاب اللغوي، والخطاب العلمي، والخطاب التاريخي، وخلاف ذلك من الخطابات الإنسانية الأخرى، وكل ذلك يتطلب قدرة لدى الناقد في اكتشاف الأنساق الدلالية، ولعل تعريف عالم اللغة فرديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure) لمفهوم اللغة أسس للمنهج السيميائي؛ فهو يرى أن اللغة: (نظام من العلامات تعبر عن الأفكار)،<sup>٣</sup> ومن خلال تعريف دي سوسير للغة نلمس تنبؤه بعلم السيميولوجيا، وذلك من خلال تعريفه لعلم اللسانيات، والتي يرى أنها دراسة للغة الانسانية، والتي تختص بدراسة كل أنظمة العلاقات اللسانية وغير اللسانية؛ بحيث إن القوانين التي تكشف عنها السيميولوجيا أو تتوصل إليها صالحة وقابلة للتطبيق عن اللغة نفسها.<sup>٤</sup>

فعلم منظومات العلامات التي دعا إليه دي سوسير يدل على اهتمامه باللغة باعتبارها منظومة من العلامات المترابطة، وبذلك تربط العناصر اللغوية،<sup>٥</sup> وهذا يعطي الدرس السيميائي اعتبارية في العلامات؛ ما يمنح الدال والمدلول مدلولات لانتهائية، ويمكن للتحليل الأدبي الاستفادة منه من خلال خلق منهج تحليلي خاص بواسطة دراسة اللغة، في محاولة لمعالجة الأنساق الدلالية الخاصة للخطاب الشعري وفق المضامين المختارة.

واستفاد المنهج السيميائي في تكوين قواعده من العديد من النظريات اللسانية المتعددة، وأفاد أيضاً من علم النفس الاجتماعي، وهذا ما أشار إليه دي سوسير وألجرداس جوليان غريماس (Algirdas Julien Greimas)؛ حيث أوضحا أهمية امتزاج علم النفس والمنهج السيميائي، وذلك من قاعدة العلاقة بين الدال والمدلول في العلامات اللغوية،<sup>٦</sup> بهدف الوصول إلى تحليل عميق لفهم النص الأدبي، ولعل أوضح تعريف يجمع ذلك كله ما حرره فان ديك (Van Dijk)؛ حيث رأى أن المنهج السيميائي هو العلم الذي يعالج بصفة خاصة العلامات، ونظام العلامات في شكل رموز ومعانٍ وأوجه اتصال، وهو مكون -إلى جانب النحو؛ أي تحليل العلاقات بين العلامات، وعلم الدلالة؛ أي تحليل العلاقات بين العلامات والمعاني والواقع الخارجي.<sup>٧</sup>

وتركز هذه الورقة على دراسة الخطاب السياسي في الحجاز نهاية الدولة العثمانية بواسطة المنهج السيميائي، وهذا الموضوع ذو جانبين الأول: فيما سبق؛ ويتصل بمفهوم المنهج السيميائي؛ والذي يقوم على ثلاث مبادئ رئيسة، وهي:<sup>٨</sup> التحليل المحايد الذي يبحث عن العلاقة بين الدلالات الداخلية للنص، ويركز على كل ما يتصل بإنتاج المعنى وإظهاره؛ والتحليل البنيوي الذي يقوم على أساس فهم المعنى من خلال الربط بين تلك الدلالات والبحث في الاختلاف الحاصل بينهما؛ أما تحليل الخطاب فأشمل وأعم من المستويين السابقين؛ لأنه لا يركز على الجملة أو المفردة فحسب بل يقرأ كل الدلالات، ويجمع بينهما في نظام واحد يعبر عن الاتجاه العام للنص الأدبي.

والنص الأدبي في هذه الدراسة يتصل بالخطاب السياسي، وقبل البدء في التعرف على سيميائية ذلك الشعر السياسي لابد لنا من معرفة معنى كلمة سياسة، وبالبحث في المعاجم العربية نجد إنها بمعنى: الأمر والنهي، والقيادة فذكر أن: (السوس الرياسة يقال ساسهم سوسا... ويسوس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم... والسائس هو الراعي)،<sup>٩</sup> ويؤكد هذا بقولهم: (سست الرعية أمرتها ونهيتها)؛<sup>١٠</sup> بمعنى القيادة، وبهذا يكون معنى كلمة السياسة هي: (القيادة والقيام على تدبير أمور الرعية وصيانة النظام).

والشعر السياسي هو: (ذلك الشعر المتصل بمعنى السياسة ويصف ذلك العمل إما بالتأييد له أو بالرفض، فهذا الغرض يتصل بنظام الحكم الداخلي، فيناقش أحقيته في الولاية وطريقته في تنظيم الأمور الداخلية من جهة ويتصل بعلاقة الدولة بمحيطها الخارجي، وما قد تتعرض له من صراعات أو أزمات أو حروب مع الدول المعادية لها)،<sup>١١</sup> ولم يعرف المجتمع العربي نظام الحكم بمعنى قيام دولة إلا بقيام دولة الإسلام، على الرغم من وجود بعض الإشارات الشعرية التي تدل على معنى الانتماء السياسي قبل الإسلام، ومن ذلك قول دريد بن الصمة:

وما أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ      عَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشِدَ<sup>١٢</sup>

وهذا الاتجاه السياسي لدى الجاهليين غالباً ما تجده في أغراض الفخر أو الهجاء أو المدح، ومن ذلك مدح زهير بن أبي سلمى للهم بن سنان والحارث بن عوف لما أقاما السلم بين قبيلتي عبس وذبيان بقوله:

يَمِيناً لِنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَوَجْدُنَا عَلَى كُلِّ خَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَفُبْرَمِ  
تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ  
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكَ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلَمِ<sup>١٢</sup>

ففي هذه الأبيات يظهر لنا قدم العلاقة بين الشعر والسياسة في الأدب الجاهلي.

وفي زمن البعثة المحمدية قامت أول دولة في المدينة المنورة، فنشبت العديد من الحروب بين دولة الإسلام ومجتمع الكفر، فظهر فرسان من نوع خاص، ألا وهم شعراء الدعوة الذين يشتركون في معانيهم مع عامة شعراء الاتجاه السياسي في العصر الحديث، ومن أولئك: (حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه)، واقتصر الشعر السياسي في تلك الفترة على إظهار دين الحق، وفي عهد الخلفاء الراشدين كان هذا الشعر يؤدي دوره في إبراز دور الخلفاء في نشر الدين من خلال الفتوحات الإسلامية ثم اختلف اتجاه الشعر السياسي بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، فبدأ الصراع على الخلافة فظهرت طوائف عدة منها من يشايح أهل البيت، ومنهم من خرج على الخلافة وأصبح لكل جماعة شعراؤها الذين يدعون بأحقية من يناصرون في الخلافة، واستمر هذا الاتجاه خلال عصر الدولة الأموية والعباسية وما تلاها من دول متتابعة مع ظهور بعض القصائد في تحفيز الدولة الإسلامية للخلاص من الصليبيين،<sup>١٤</sup> وامتد ذلك حتى العصر الحديث مع اهتمام الشعراء بالوعي القومي ومقاومة الاستبداد والظلم سواء من المستعمر أو الحاكم عربياً كان أم أعجمياً.

وظهرت معاني الشعر السياسي في هذه الحقبة متعددة الموضوعات؛ ما بين رفض الاستعمار وتحفيز الشعور القومي وإثارة الثورات الداخلية وسيلة للخلاص من الظلم، وامتألت دواوين الشعراء في هذه الفترة بالعديد من القصائد التي تصور أنواع القهر الذي تعرضت له الأمة العربية في مختلف أقطارها. وستحاول هذه الدراسة تتبع نماذج من الشعر السياسي في إقليم الحجاز في حقبة ضعف الدولة العثمانية، وقبل الدخول في عرض تلك النماذج الشعرية لابد لنا أن نقرب من معالم هذا الإقليم، وللتعرف على هذا الإقليم لابد من تحديد موقعه، ومن يتتبع حدود هذا الإقليم الجغرافية يجد أن هناك خلافاً بين المؤلفين في تحديده؛ حيث أخذ مصطلح الحجاز حيزاً ليس يسيراً في المعاجم العربية، فتناول المؤلفون اسم هذا الإقليم بالوصف والتعليل؛ حيث ذُكر في سبب تسميته بهذا الاسم لأسباب عدة أغلبها يتعلق بموقعه الجغرافي، ومن تلك الأسباب: أن الحجاز سمي بذلك؛ لأنه يحجز بين هضاب نجد وسهول تهامة، وقيل لأنه يحجز بين السراة ونجد، ونُقِلَ عن الأصمعي أنه سمي حجازاً؛ لأنه يُتَجَرَّزُ بسلسلة من الجبال، وحُدِّدَت مدنه باثنتي عشرة داراً منها طيبة الطيبة، وقيل: إنما سمي بالحجاز؛ لأنه

يحجز بين أرض تھامة وأرض نجد، فمكة المكرمة تھامية وطيبة الطيبة حجازية، والطائف حجازية؛ وقيل عن حدّ الحجاز إنه من: (معدن النقرة إلى طيبة الطيبة)، فنصفُ المدينة المنورة حجازيٌّ ونصفها الآخر تھاميٌّ، ودُكر عن ابن أبي شَبَّه أن طيبة الطيبة حجازية،<sup>١٥</sup> ونُقِلَ عن الأصمعي: (الحجاز من تخوم صنعاء إلى تخوم الشام، وإمّا سُمِّي حجازاً؛ لأنَّه حجز بين تھامة ونجد).<sup>١٦</sup>

### أولاً: الحياة السياسية في الحجاز

منذ العقد الثاني من القرن العاشر الهجري وبلاد الحجاز تزرع تحت الحكم العثماني؛ حيث سلّم الشريف بركات<sup>١٧</sup> مفتاح الكعبة المشرفة للسلطان سليم الأول بعد بسط نفوذه على مصر عام ٩٢٣هـ، وتم ذلك لخوف الشريف بركات من اقتحام السلطان العثماني لإقليم الحجاز وإنهاء حكمه فيها، وأمتد حكمهم على الحجاز بعد ذلك وشهد الكثير من الأحداث<sup>١٨</sup>، ولعل من أبرزها إفشال كل المحاولات الرامية لإسقاط الحرمين الشريفين في يد المستعمرين، ومن تلك محاولتان برتغاليتان لاحتلال مدينة جدة عامي ٩٢٣هـ و٩٢٦هـ.<sup>١٩</sup>

وكانت سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة الأشراف تهدف إلى نزع السلطة منهم تدريجياً منهم بدعوى إصلاح النظام الإداري، وإدخال تشريعات تزيد من مركزية إدارة الحجاز وربطه باستانبول مستغلين التنافس بين أمراءه، والإبقاء لهم بوجود طاعة السلطان، ناهيك عن إضافة الدولة العثمانية لبعض الوظائف الإدارية التي تضعف حكم الأمير كوظيفة المحافظ الذي له من النفوذ ما يضاها نفوذ الأمير إن لم يزد عليه،<sup>٢٠</sup> فزادت الدولة العثمانية صلاحيات الوالي العثماني في مكة والمدينة المنورة، ففي المدينة أعطي مشيخة الحرم، والحق في عزل الأمير، وصلاحيات تحريك القوات، وتعيين القاضي، وقائد الحماية العسكرية في القلعة.<sup>٢١</sup>

وبهذا التنظيم أصبحت المدينة المنورة تابعة للأشراف من جهة، وتحت عين الدولة العثمانية من جهة أخرى؛ ولذلك أهملت فدخلت في عزلة سياسية، وأصبحت مكة المكرمة مركز الإمارة مكة وموقع الحدث والصراع بين الأشراف على إمارتها، ومع إهمال الأشراف للمدينة إلا أنهم استفادوا من مواردها؛ فأمروا بتحويل دفع رسوم زيارة المسجد النبوي إلى مكة؛ حيث يدفعها الحاج أو المعتمر الراغب في ذلك مرة واحدة لإمارة مكة،<sup>٢٢</sup> وكان ذلك في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين؛ حيث كانا قرنين هادئين في حياة المدينة السياسية.

وفي بداية القرن الثاني عشر الهجري زاد تنافس أمراء مكة من الأشراف على إمارتها،<sup>٢٣</sup> ولم تُرسل إمارة مكة المنح المعتاد إرسالها للقبائل المجاورة للمدينة لقاء عدم تعرضهم للحجاج والزوار، فهاجمت بعض تلك القبائل المدينة المنورة، ونهبت أطرافها، ومن نتائج ذلك الانشغال والتسابق على تولي الإمارة أيضاً نشوب نزاعات في مجتمع المدينة المنورة في حدود عام ١٢٧هـ.<sup>٢٤</sup>

## ثانياً: سيمائية الشعر السياسي في الحجاز

إن البحث عن المعنى من خلال التدقيق في بني الاختلاف والدلالة الحادثة منها مع الأخذ بلغة الشكل هو مبدأ التحليل السيميائي.<sup>٢٥</sup> وكما عرفنا أن تحليل الخطاب الذي يبرز القدرة على بناء إنتاج الأقوال والتي يمكن استنباطها من العلامات المتاحة في النصوص الشعرية السياسية، وهذا من منطلق أن هذه العلامات ذات نظام قائم بذاته داخل النصوص، وهي ما يوفر لنا فهما لسياقات الخطاب السياسي الشعري من خلال إعادة تشكيله وقراءته بالطرق السيميائية عليه؛ نظراً إلى كثافة المتتابعات فيه مع قصر النص الذي لا يتجاوز بضع صفحات، وهذا يتيح للدارس تتبع خصائص النص السياسي من الناحية الصوتية والتركيبية والمعجمية، ومحاولة الخروج منها بأنساق وعلامات خاصة به.

والمتتبع للشعر الحجازي نهاية العهد العثماني سيجد فيه اتساعاً عظيماً؛ حيث طرق أولئك الشعراء موضوعات متعددة يستحيل على هذه الورقة الإمام بجميع تلك الأنساق والجمع بينها؛ ولكن سيتم تتبع الخطوط العريضة لهذا الشعر مع محاولة التركيز على جميع مضامين الشعر السياسي في تلك المدة، في محاولة للخروج بتحليل سيميائي مع عرض بعض النماذج الشعرية المختارة.

### ١. مستوى الخطاب الدلالي العام:

تنوعت مضامين الشعر السياسي الحجازي وتعددت موضوعاته، وإن تتبعنا هذه الموضوعات سنجدها تدور في مجموعة من العناوين المختلفة، ولكل عنوان منها عدة موضوعات تشترك فيما بينها في عدة دلالات تربط بينها، ويمكن حينها أن نقول بأنها ذات عنوان مشترك، ومن أبرز تلك المضامين السياسية، شعر النكبات والفتن الذي يعنى بعرض الفتن التي لحقت بالمجتمع الحجازي، وقد عرفنا أن بداية القرن الثاني عشر في الحجاز كان حقبة اضطراب وتذبذب بسبب ضعف إدارة السلطان لأمر الدولة، وهذا أدى إلى تنافس المتنفذين على الإمارة في الحجاز، وأثر ذلك في استقرار المجتمع الحجازي بشكل عام، فظهرت العديد من الفتن، ومنها على سبيل المثال لا الحصر فتنة الأغوات،<sup>٢٦</sup> وتلا ذلك صراع الفرق العسكرية، كفتنة (النوبتجاية)،<sup>٢٧</sup> وثورة حسن كابوس،<sup>٢٨</sup> وانتقام الشريف سرور<sup>٢٩</sup> من أهل المدينة عام ١١٩٤هـ، وقد صور الشاعر جعفر البيتي<sup>٣٠</sup> شيئاً من هذه الفوضى التي عصفت بالمدينة في تلك الحقبة، ومنها فتنة العهد الواقعة سنة ١١٣٤هـ، وتقع في أكثر من تسعين بيتاً وصور فيها الأحوال العامة بالمدينة المنورة، فيقول:

المجدُّ تحتَ ظِلِّ لالِ سُمرِ الذَّبَلِ	وظبا القَوَاضِبِ والجِيَادِ القُفْلِ
المورياتِ العَادِيَاتِ ضَوَايِحَا	الصَّافِنَاتِ النَّافِرَاتِ الجُفْنِ
لا عَاشَ مَنْ تَرَضَى المَدْلَةَ نَفْسَهُ	طوعاً وَعَن شَاوِ المَفَاخِرِ يَأْتَلِي
تَعَسَتِ حَيَاةَ لا تُشَابِ بِعِزَّةِ	عَبْرَاءِ بَيْنَ مَهَابَةِ وَتَدَلَّلِ <sup>٣١</sup>

فيلاحظ أن الخطاب الشعري قد ارتكز إلى بعض الاشارات المهمة؛ فهو يشير إلى ما تحققه القوة العسكرية في رفع الظلم الحاصل من الأغوات، ورفع الظلم هو الإشارة الأولى إلى أغلب هذه القصائد الواصفة لحالة المسلمين في حالة الفتن السياسية، وهذا الخطاب يكرره في قوله: (لا عاش من ترضى المذلة نفسه)، ولهذا الشاعر أيضاً مقدمة أخرى تشتمل على ذكر الظلم ووجوب التفكر فيه؛ لأن عاقبته وخيمة؛ حيث قال ناصحاً أمير مكة، ويطلب منه إيقاف الظلم الحادث عام ١١٤٨هـ، فقال:

فَقِفُوا تَنْظُرُوا أَثَارَ مَا فَعَلَ الظُّلْمُ      وَجُوسُوا خِلَالَ الدَّارِ تُنَبِّئُكُمْ الْأَكْمُ<sup>٣٢</sup>

فذكر الظلم والتذكر فيه ومزجه بالمعاني الإسلامية صفة واضحة في الاستهلايات المتكررة لشعر النكبات السياسية في تلك الحقبة، وهذا الخطاب السياسي يستمد أولئك الشعراء من قول الله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَبَدُونَ)<sup>٣٣</sup>، ويظهر أيضاً تكرار ذلك الاتجاه المستنكر للظلم في تلك المقدمة الباكية التي يقول فيها الشاعر البيتي في فتنه حسن كابوس عام ١١٥٥هـ:

بَكَى عَلَى الدَّارِ لِمَا عَبَّ حَامِيهَا      وَجَرَّ حَاكِمَهَا فِيهَا أَعَادِيهَا  
يَا دِمْنَةَ سَلَبَتْ مِنْهَا بَشَاشَتَهَا      وَأَلْبَسَتْ مِنْ ثِيَابِ المَحْلِ بَاقِيهَا  
فَمَنْ مُعِينِي بِأَحْزَانٍ يُضَاعِفُهَا      عَلِي؟ مَنْ لِعُيُونِي؟ مَنْ يُوَاسِيهَا؟  
يَا صَاحِ نَادِ البَوَاكِي وَابْكِ أَنْتَ مَعِي      مِنَ الْأَسَى فَبِمَنْ نَرْجُو تَأْسِيهَا<sup>٣٤</sup>

فالبكاء من شدة الظلم والدعاء متكرر في الشعر الحجازي الموصوم بالفتنة، ومن ذلك أيضاً ما نظمته الشاعر محمد سعيد سفر؛<sup>٣٥</sup> حيث قال في فتنه الحرة، وهي فتنه وقعت على أهل المدينة في سبعة أشهر استبيحت فيها الدماء من عام ١١٥٦هـ:

عَلَى بِلْدَةِ الْمُخْتَارِ يُبْكِي وَيُنْدَبُ      وَيُشْكِي إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَيُرْعَبُ  
وَيُحْزَنُ مِمَّا قَدْ أَتَاهَا مِنَ البَلِي      وَيُرْهَبُ مِمَّا حَلَّ فِيهَا وَيُرْعَبُ<sup>٣٦</sup>

وتستمر النكبات في المجتمع الحجازي نهاية العهد العثماني، وتكرر السمة الغالبة على مطالع تلك القصائد فالشاعر أحمد الجامي<sup>٣٧</sup> نظم قصيدة في وصف فتنه ١١٨٩هـ، والمسماة (فتنة الدوس)؛ حيث ابتدأها بذكر التحسر على ما حصل في المسجد النبوي الشريف من تعطيل لذكر الله، فيقول:

وَمَسْجِدُهُ السَّامِي غَدَا جُبْحَانَةٌ      وَحِصْنًا حَصِينًا عَافَهُ الْقُرْضُ وَالنَّدْبُ  
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهَا فِي قِيَامِهَا      عَلَى سَاقِهَا أَضَلَّ فَيُضْمَى لَهَا الْقَلْبُ  
وَهَلْ هُوَ هَدْمٌ فِي الشَّرِيعَةِ وَاقِعٌ      فَكَمَا لَتَعْمِيرٍ لَهُ ذَلِكَ الْحِزْبُ<sup>٣٨</sup>

ويشارك في ذات الخطاب ما كتبه عمر الداغستاني؛ حيث قال في فتنه الشريف سرور عام ١١٩٤هـ:

أَمَّا سَمِعَتْ بِمَا قَدْ صَارَ فِي بِلْدِ ال      مُخْتَارِ طَهَ الْمُرْجَى سَيِّدِ الرُّسُلِ  
مِنْ مُخْدَتَاتِ أُمُورٍ أَحْدَثَتْ فِتْنًا      وَالنَّاسِ فِي شُغْلِ مِنْهَا وَفِي شُغْلِ<sup>٣٩</sup>

فهذه الاستهلايات خطاب صريح يدعو فيه الشعراء أولئك المعتدين عليهم إلى العودة إلى الله والخوف من عقابه ومراعاة حرمة البيت المقدس، فضلاً عن تذكيرهم بمعنى الظلم ووجوب الوقوف، وعدم سفك الدماء وسلب حقوق الناس وأموالهم، وصيغة الخطاب الاستهلالي هذا ظهر في مقدمة مجموعة من القصائد التي استعرضناها في شعر الفتن والنكبات واحتوت ثانياً هذه القصائد على مضامين أخرى؛ حيث وصفت الحالة الدينية والأمنية لذلك الزمن، فالصلاة معطلة مثلما يصفها الشاعر البيتي؛ إذ قال:

أشدّ دارٍ خرباً لا عمارَ بها      دارٌ أتى هدمها من كفِّ بانيها<sup>٤١</sup>

ومن هنا يمكن لنا إدراك الكثافة العلاماتية لهذا الخطاب الموحد، فجدده متلائماً مع حالة ذلك العهد ويتفقون أيضاً في قضية وجوب رفع الظلم، فالبيتي يقر تلك الحقيقة، فيقول:

وَتَعَاهَدُوا فِي اللَّهِ أَنْ يَتَنَاصَرُوا      فِي الدِّينِ لَا يَخْشُونَ لَوْمَ العَدْلِ<sup>٤٢</sup>

وبذات الخطاب يؤكد الشاعر محمد سعيد سفر، وجوب رفع الظلم عام ١١٥٦هـ فيستنصر الأشراف:

أَغِيثُوا أَغِيثُوا بَادِرُوا دَارَ جَدِّكُمْ      فَقد حَرَقَتِ الأعرابُ فِيهَا وَخَرَّبُوا<sup>٤٣</sup>

ومن ذلك قصيدة الشاعر محمد العمري في وصف تهجير أهل المدينة المنورة بسبب مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية؛ حيث اخليت من أهلها، وظلوا بتركيا حتى سمح لهم بالعودة بعد توقف الحرب، ووجدوا دورهم مسروقة ومزارعهم ميتة،<sup>٤٣</sup> ومما قاله:

دارُ الهُدَى خَفَ مِنْكَ الأهلُ وَالسَّكَنُ	وَاسْتَفْرَعَتْ جُهْدَهَا فِي رَبْعِكَ المِخَنُ
عَقَا المُصَلَّى إِلَى سَلْعٍ إِلَى جُشَمِ	وَالْحُرَّتَانِ وَمَرَأَى أَرْضِهَا الحُسْنُ
مَنَازِلَ شَبَّ فِيهَا الدِّينُ وَاكْتَمَلَتْ	آيَاتُهُ فَاسْتَعَارَتْ نُورَهَا المُذُنُ
لِأَيِّ أَرْضٍ يُشْتَدُّ الرِّحْلُ رَاكِبَهُ	يَبْغِي المَثُوبَةَ أَوْ يَشْتَأْفُهُ عَطَنُ
أَبْعَدَ رَوْضَتِهَا العَنَّا وَقُبَّتِهَا الحُضُ	رَاءَ يَجْلُؤُوا بَعِيْنِي مُسْلِمٍ وَطَنُ
مَا غُوِطَةَ الشَّامُ مَا تُهْرُ الأَدْبَلَةُ مَا	حَمْرَاءَ عَرْنَاطَةَ مَا مُصِرَّ مَا اليَمَنُ <sup>٤٤</sup>

ومن هنا نرى أن الاتفاق في انساق الخطاب السياسي جاء متواتراً في أغلب تلك النماذج السابقة، ولعلنا نستقصي ذلك أيضاً في مضمون آخر، ومن ذلك وصف بعض انجازات الدولة العثمانية مثل مشروع قطار الحجاز الذي تغنى به بعض الشعراء، فالأسكوبي<sup>٤٥</sup> يمدح سياسة عبد الحميد الثاني في إنشائه لهذا المشروع البناء:

سُلْطَانَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ الثَّانِي  
جَلِبَتِ مَرَايَاهُ الْقُلُوبِ، وَأَوْجِبَتْ  
فَلْيَهِنَهُ حَظَ الْحَدِيدِ مَسْرَةَ  
وَمُفَاخِرِ مَا نَأَلَهَا أَحَدٌ سَوَا  
هَمِّ الْمُلُوكِ تَفَاعَسَتْ مِنْ دُونِهَا  
هَذِي مَعَالِمَ (طَيْبَةَ)، يَا حَبْدَا،  
فَكَأَنَّهَا وَالشَّامَ شَيْءٌ وَاحِدٌ  
لِزَمَانِهِ فَحَرَ عَلَى الْأَزْمَانِ  
شُكْرٌ لَهُ يُتْلَى بِكُلِّ لِسَانٍ  
بِدُنْيَوِهِ وَوُصُولِهِ لَمَعَانِ  
ه، وَهَلْ سِوَاهَا مُمَكِّنٌ بِمَكَانٍ؟  
وَلَوْ أَنَّ فِيهَا سَاعِدَ الثَّقَلَانِ  
قَرَّبَتْ، وَهَذَا الْبَيْتُ ذُو الْأَرْكَانِ  
مُتَجَاوِرِينَ مُتَجَاوِرِينَ الْإِخْوَانَ<sup>٤٦</sup>

ويشارك الشاعر محمد العمري (ت ١٣٦٥هـ) في هذا الشعور الوطني المعترز بالمشروع الحضاري للدولة العثمانية في إنشاء خط القطار، فيقول:

هَمِّ الْمُلُوكِ عَظِيمَةَ الْأَثَارِ  
وَشَوَاخِحَا شُمِّ الْأَنْوْفِ تَزْحَزَحَتْ  
حَظَ عَلَيْهِ بَوَاخِرِ مَوْفُورَةٍ  
جَبَلِ عَظِيمٍ مِنْ حَدِيدٍ صَامِتِ  
تُدْنِي الْبَعِيدَ النَّازِحَ الْأَقْطَارِ  
لَا يُسْتَطَاعُ صُعُودُهَا لِلْسَّارِي  
مِثْلَ الْجِبَالِ خَفِيفَةَ التَّنْسِيَارِ  
يَجْرِي عَلَى عَجَلٍ بِأَمْرِ النَّارِ<sup>٤٧</sup>

فإذا نظرنا إلى هذين الأُمُودَجِينِ وجدناهما يشتركان في إذكاء حالة من النشوة الوطنية؛ حيث يمجدان هذا العمل الذي أضفى للأمة في وقتهم مزيداً من العزة على الرغم من محاربة بعض القوى الاستعمارية لهذا المشروع، إلا أن قوة الخليفة كانت كافية لتحدي جميع المصاعب لربط أجزاء بلاده، ويشير الخطاب السياسي في ذكر هذا الإنجاز إلى القوة العسكرية التي يمنحها هذا القطار لهذه الخلافة المترامية الأطراف؛ فهو رمز للقوة والعزة، وهذا فيه تأكيد لسياسة الدولة العثمانية الداخلية، وهي رسالة قوية للخارج.

وبما أن السياسة ذات اتجاهات تختلف باختلاف المصالح والرؤى، فإن شعراء تلك المدة أنفسهم اختلفت اتجاهاتهم السياسية، وتباينت مواقفهم إزاء بعض القضايا، وهذا يعطينا نوعاً آخر من السيميائية القائمة على الجمع بين الدلالات المختلفة، ومن ذلك موقف الشعراء في تلك الحقبة من الثورة العربية الكبرى خصوصاً بعد أن أفسد حزب الاتحاد والترقي صورة العثمانيين في أعين المسلمين، ومن ذلك ما نظمته الشاعر عبد المحسن الصحاف،<sup>٤٨</sup> فأنشد يستنهض الأمة العربية للقيام للخلاص من سيطرة الأتراك بعد

أن أفسد حزب الاتحاد كل الوشائج الدينية التي تربط العرب بالدولة العثمانية ومن قصيدته:  
فَهَبُوا يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هُبُوا  
وَقُومُوا يَا بَنِي الْمُحْتَارِ قُومُوا  
إِلَى فِتْنِكَ الْأَعَادِي فَاشْرِبُوا  
هَلُمُّوا وَاهْرَعُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ  
لِأَهْلِ الْإِتِّحَادِ الْخَائِنِينَ  
لِحِزْبِ الْحِزْبِيِّ بَلِّ لِلْمُفْسِدِينَ  
وَتَخْلِيصِ الْعُرْبِ هَاتِفِينَا  
فَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ<sup>٤٩</sup>

وعلى النقيض من تلك النظرة نجد خطاب الشاعر محمد العمري يخالف ما ذهب إليه الصحاف؛ إذ يقول:

حَدُّ الخِلافةِ مِنْ يَجْتَازُهُ ظُلْمًا      وَمَنْ أَباحَ جِماها بِئْسَ ما أَفتَحَما  
 وَمَنْ يَثُرُ فِتنَةَ عَمِيا سَاكِنَةَ      فَهُوَ الَّذي هَتَكَ الإِسلامَ وَ الحَرَمَ  
 أَبُو الفُتُوحاتِ فَخْرُ الدِّينِ ناصِرَه      حَامي الخِلافةِ إِنْ حَقَّ لَها اهْتِصَما  
 مُدَرِّبِ عَارِفِ بِالْحَرْبِ دُو خِدَع      تَخَفَى عَلى الوَهمِ لا يَألو بِها نِقَمَما  
 مَنْ لا يَهَابُ الرَّدَى وَالْمَوْتَ مُكْتَسِح      وَلا يَنامُ عَلى وَثَرٍ إِذا ظَلَمَما  
 مَنْ عَارِ فِي (عَائِرٍ) وَالْمَوْتَ يَتَبَعُه      وَالرَّوْعَ لَم يَبِيقُ فِي تِلْكَ الوُجُوهُ دَمَما<sup>٥</sup>

فاختلاف الخطاب السياسي الموجه إلى المجتمع الحجازي متباين بين الشاعرين؛ فالصحاف يدعو إلى الثورة على خيانة جماعة الاتحاد والترقي، ويعلنها ثورة على الظلم وبياع الشريف بالولاية؛ بينما الشيخ العمري يرى عدم شرعية تلك المبايعة التزاماً منه بالفكرة الإسلامية، ويجذر من خلع البيعة بل ويرى أن الدعوة للثورة فتنة عمياء، وهذا التباين وتلك الثنائية المختلفة في الخطاب السياسي يظهر لنا أن الدلالات السيميائية كانت مختلفة من ناحية المضمون الذي يؤمن به كل فريق.

## ٢. المستوى المعجمي:

إن للألفاظ ومعانيها أهمية كبيرة في الحقل الدلالي للقصيدة السياسية، فتركيز الشعراء على بعض الألفاظ، ينتج لنا سيميائية خاصة يمكننا أن نمزجها مع مجموع التجارب التي حدثت في ذلك العهد، ومن ذلك ما ظهر في بعض الأبيات السابقة من إظهار لمستوى الفجعية التي حلّت بساكني إقليم الحجاز بسبب ما ألمّ بهم من نكبات، ومن تلك الألفاظ: (الذل، تعست حياة، الظلم، غبراء، تدلل، بيكي، يشتكي، يحزن، البلى، يهرب، يرعب، الندب، هدم، محدثات أمور، فتنا، خرابا، لا عمار بها، هدم، حرقت)، فمجمل هذه المفردات تؤكد ما أصابهم من خوف وانكسار استوجب أن يطلبوا الغوث والنجدة، وهي تدل أيضاً على نسق انفعالي يشترك فيه أولئك الشعراء، وتكررت ألفاظ طلب العون في خطابهم الشعري، ومن ذلك: (أغيثوا، هبوا، قوموا، هلموا، اهرعوا)، فهذا المعجم الخاص يتفق مع حاجة الخطاب السياسي إلى تكثيف تلك العلامات المتتابعة لتؤكد على وحدة الأفكار، ففي مجال الفخر بمنجزات الوالي ظهرت ألفاظ خاصة تدل على العزة والقوة، وهي بذاتها إشارات ذات دلالة خاصة، ومن تلك الألفاظ: (المجد، الجياد القفل، عزة، مهابة، فخر، مفاخر، هم، شوامخ، شم الأنوف، مثل الجبال...)، فهذا التضافر في السياق إجراء واع حتى وإن تكاثف بطريقة غير واعية،<sup>٥</sup> ليدل على فكرة الخطاب الشعري السياسي في هذه القصائد، ويعبر عن توجه ما يفصح عنه من خلال عموم النص الأدبي.

## ٣. المستوى التركيبي:

لا يمكن إغفال أهمية الجانب النحوي والبلاغي المشكلان للمستوى التركيبي للقصيدة السياسية، ومن أبرز تلك الأساليب النحوية استخدام الأفعال للإيحاء ببعض المعاني، ومن ذلك التكتيف السيميائي في استخدام الفعل الماضي لوصف الوضع الذي آلت إليه حالهم البائسة في ظل تلك المحن، ومن تلك الأفعال: (بكى، وغاب وجرّ، وسلبت، وألبست، صار، وخف، وعفا...)، فمدلولاتها عميقة تقرر حتمية ما أضحوا عليه، ويعطينا فعل الأمر دلالة أخرى حيث يتكتف وجوده في جلّ تلك القصائد ليناشد أصحاب الهمم لرفع الظلم وتأمله، ومن ذلك: (قفوا تنظروا ما فعل الظلم)، (جوسوا خلال الدار تنبيكم الأكم)، و (يا صاح ناد البواكي، وأبك أنت معي)، فلفعل الأمر دلالة مميزة اكتسبها من اتصاله بدعوة التحرر والانسلاخ من القهر، ويظهر لنا أسلوب النداء وهو يقارب أسلوب الأمر من ناحية الطلب ففي المثال السابق استخدم الياء وكلمة ناد بمعنى أدع، ومنه أيضاً (يا دمنة سلبت منها بشاشتها) حيث خرج بالنداء إلى معنى أبعد من ذلك حيث يتعجب مما آلت إليه حال المدينة في تلك الفتنة.

كما أن استخدام أسلوب التقديم والتأخير ذو أهمية في الخطاب السياسي، فتأخير الفعل المضارع في قول الشاعر: (هم الملوك تقاعست من دونها) فيه زيادة لاختطاف فكر المتلقي وأيضاً إلى أي حد بلغ التقاعس في هم الملوك، ومنه أيضاً تقديم الجار والمجرور، وتأخير الجملة الفعلية في قوله: (على بلدة المختار يبكى ويندب)، وهذا تكتيف للصورة المعنوية المحزنة، وهي زيادة في التركيب السيميائي وتوالي التقديم والتأخير يضفي تكاملاً على المستوى التركيبي من الناحية المعنوية للمتلقي.

ووظف شعراء الشعر السياسي في الحجاز الصورة الحسية بطريقة إبداعية من خلال عنايتهم بالقوالب الاستعارية والتشبيهية، ففي قولهم: (فتنة عمياء ساكنة، تعست حياة... غرباء، ألبست ثياب المحل)، وصف حسي للفتنة وحياتهم البائسة، ولا يكمن أهمية هذه الصور البلاغية في تصوير الموقف فحسب، بل تمتد قوته إلى نفس المتلقي ليشعر بتحريك تلك الأحداث بأنساق مختلفة تلتف مع مجمل الأنساق الأخرى، لتكون الصورة العامة التي تمثل حالة الصورة السياسية وخطابها العام في تلك الحقبة.

ومن أهم مبادئ الخطاب السياسي آنذاك اعتماده على الصور الدينية كثيراً، والتي اتضحت لنا في بعض فقرات هذه الورقة، إلا أنها على المستوى التركيبي تظهر جلية في استخدامهم للأسلوب الاقتباس، حيث تلامس آيات الذكر الحكيم، إما لهدف التخويف بالقوة المادية في الخيل التي وصفت بـ:

الموريات العاديات ضوايحاً الصّافنات النَّافرات الجفن

أو باقتباس التخويف من إثارة الفتنة التي يتجاوز إحيائها كل وصف:

وَمَنْ يُثِرْ فِتْنَةَ عَمِيَاءِ سَاكِنَةٍ فَهُوَ الَّذِي هَتَكَ الْإِسْلَامَ وَالْحَرَمَ

#### ٤. المستوى الإيقاعي:

تميز الشعر السياسي في الحجاز بخصائص إيقاعية أفردته عن غيره من المضامين الأخرى، ومن ذلك ميل الشعراء إلى استخدام إيقاعات خارجية تعبر عن صورة الخطاب المراد الإفصاح عنه؛ ولذلك استخدموا البحور الطويلة ذات الامتداد الصوتي كالبحر البسيط، والطويل، والكامل؛ فهي خير معين في بسط الخطاب السياسي من الناحية الصوتية لإتاحتها للكثير من الإيقاعات المتتالية والطويلة، ومن ذلك قول الشاعر البيتي:

بَكَى عَلَى الدَّارِ لَمَّا غَابَ حَامِيهَا      وَجَرَ حَاكِمَهَا فِيهَا أَعَادِيهَا  
بَكَى لَطِيْبَةً إِذْ ضَاعَتْ رَعِيَّتُهَا      وَزَاعَهَا بِكِلَابِ الْبَرِّ رَاعِيهَا  
يَا صَاحَّ نَادِ الْبَوَاكِي وَابْكِي أَنْتَ مَعِي      مِنْ الْأَسَى فَبِمَنْ نَرْجُو تَأْسِيهَا

فهذه القصيدة من بحر البسيط المعروف بسهولة إيقاعاته وأوزانه، كما اهتم الشعراء بالإيقاع الداخلي الذي تحدته الكلمات فتوسلوا بصنوف المحسنات البديعية كالجناس، والطباق، والموازنات، ومن ذلك في النص السابق تكرار كلمة بكى في بداية تلك الأبيات، فضلاً عن حسن التقسيم للجمل الداخلية؛ حيث أعطى ذلك جرساً خاصاً يتكامل مع الإيقاع الموسيقي للبحر الشعري ومن ذلك: (بكى على الدار)، و(لما غاب حاميها)، و(واهاً لغربتها)، و(واهاً لجائعتها)، و(واهاً لعاريها) فكل جملة تكون إيقاعاً داخلياً ثنائياً، فضلاً عن تنالي الكلمات: (كربتها، عثرتها، جائعها، عاريها) التي تمثل إيقاعاً آخر، وهذا يدعم الشاعر أيضاً في خطابه وإيصال فكرة الألم بالرموز الإيقاعية المساعدة له، فتناوب الألفاظ ذو أهمية كبيرة في هذا الخطاب الإيقاعي الدال على الحزن، وهذه القصيدة تشبه في إيقاعاتها الحزينة نونية ابن زيدون<sup>٥٢</sup> التي تهيج على البكاء وتؤكد على لوعة الفراق، وهذا يشير إلى سيميائية خاصة تجمع بين الخطاب الشعري الحزين، فالباكي على محبوبته كابن زيدون أو الباكي على فراق محبوبته-المدينة المنورة- من جهة شعراء أهل المدينة المنورة يشتركان في خطاب واحد، ويظهر ذلك جلياً بالجمع بين هاتين القصيدتين:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً عَنِ تَدَانِينَا      وَنَابَ عَنِ طَيْبِ لَقِيَانَا بَجَائِفِينَا  
فَمَنْ مُعِينِي بِأَحْزَانِ يُضَاعِفُهَا      عَلِي؟ مَنِ لِعُيُونِي؟ مَنِ يُوَاسِيهَا؟

وظهر أيضاً نوع آخر من أنواع الإيقاع الداخلي ألا وهو التصريع؛ وهو يزيد النص الشعري شحنات موسيقية لامتداده في أشطر البيت، ومن ذلك قول الشاعر:

المَجْدُ تَحْتَ ظِلَالِ سُمْرِ الذَّبْلِ      وَظِلُّ الْقَوَاضِبِ وَالْجِيَادِ الْقُفْلِ  
وقوله:      بَكَى عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا غَابَ حَامِيهَا      وَجَرَ حَاكِمَهَا فِيهَا أَعَادِيهَا

فالتصريع الإيقاعي الحادث نهاية العروض والضرب يحسن الموسيقى الداخلية، ويزيدها جمالاً ورونقاً عند السماع؛ ولكن الأمر يتعدى إلى أبعد من ذلك؛ فهذه الموسيقى لها إيجائها الخاص في تقوية الخطاب وتزيد إضافة غير مكتوبة إليها، وهذا ما لوحظ في أغلب قصائد الشعر السياسي، ومنها القصائد الدالة

على الانكسار وطلب العون، والتي اتخذت نغماً خاصاً بها، أو في القصائد الأخرى التي ركزت على جانب القوة والاعتداد في ذات الدولة العثمانية آنذاك.

#### الخاتمة:

١. إن الخطاب السياسي يتجه في ذلك العصر إلى ثلاث اتجاهات مهمة؛ ومنها: ما يتصل بالحالة الاجتماعية لعموم المجتمعات العربية في ظل ذلك الاضطراب السياسي والفتن المتنوعة التي اجتاحت الدولة العثمانية في نهايتها؛ فعكس ذلك الخطاب تطلعات الأمة الطامحة إلى العزة والأمن والأمان، ويتصل الاتجاه الثاني بالجانب الوجداني فهذا الخطاب كان متسماً بتكرار الانفعالية في الخطاب والتضخيم للأهوال الحادثة، وهو بذلك يرسم الجانب النفسي لتلك الأمة التي لا تعرف ما ستؤول إليه أمورها، وأخيراً يعد الخطاب السياسي نصاً تاريخياً يوثق الأحداث ويرسخها مع تفاصيل أدق لما هو الحال في تلك المدة.

٢. إن الشعر السياسي الواصف للنكبات والفتن في اقليم الحجاز ليس مجرد وصف للأحداث السياسية في بشكل قصصي أو تاريخي؛ بل هو تسجيل للتحويلات الاجتماعية الحاصلة، وهذا ما عبّر عنه عموم الخطاب السياسي المستفاد من تلك الأحداث التي تعطينا دلالات سيميائية تجمع لنا إشارات مهمة عن حالة تلك الحقبة.

٣. ونؤكد أن هذه الورقة محاولة لجمع بعض الإشارات السيميائية للنص الشعري السياسي نهاية مدة حكم الدولة العثمانية، ونظراً إلى صر صفحاتها فقد حاولت تعويض ذلك بعرض فكرة عامة عن أشهر المصطلحات التي تطرقت إليها مثل: (السيميائية، الشعر السياسي، الحجاز...)، وهي بذلك تشرع باب البحث العلمي أمام دراسات أعمق تتناول كل جزئية بمزيد من التفصيل والاتساع.

#### هوامش البحث:

- <sup>١</sup> انظر: ريفاتير، ميشال، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة: حميد الحمدالي، (الدار البيضاء: دار النجاح، ١٩٩٣م)، ص ١١١٢.
- <sup>٢</sup> انظر: بنعيد، محمد، "سيميائية الخطاب وخطاب السيميائية"، مجلة علامات الأدبية، المغرب، (ع) ٢٩، ٢٠٠٨م، ص ٤٥.
- <sup>٣</sup> انظر:

F.de Saussure, *Course in General Linguistics*, translated by Ray Harris, Dukworth, London 1998 .P. 25.

- <sup>٤</sup> انظر: داربي، زبير، محاضرات في اللسانيات، (الجزائر: المطبوعات الجامعية المركزية بن عكنون، د.ت)، ص ٩٩.
- <sup>٥</sup> انظر: دي سوسير، فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبدالقادر قنيني، (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٧م)، ص ٨٨.

- <sup>٦</sup> انظر: الأحمر، فيصل، معجم السيميائيات، (الجزائر: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م)، ص ٤٢.
- <sup>٧</sup> انظر: فان ديك، علم النص، ط ١، ترجمة: سعيد البحيري، (القاهرة: دار القاهرة، ٢٠٠١م)، ص ١١٥.
- <sup>٨</sup> انظر: السرعيني، محمد، محاضرات في السيميولوجيا، ط ١، (الدار البيضاء: دار أفريقيا الشرق، ١٩٨٧م)، ص ٥٤-٥٥.

- <sup>٩</sup> ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م). مادة (س و س)
- <sup>١٠</sup> الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، ط ٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م). مادة (س و س)
- <sup>١١</sup> الخواجة، إبراهيم شحادة، شعر الصراع السياسي في القرن ١٢هـ، (الكويت: شركة كاظم للنشر، ١٩٨٤م)، ص ٨.
- <sup>١٢</sup> ابن أبي الصمة، دريد، ديوان دريد بن أبي الصمة، تحقيق: عمر عبد الرسول، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م)، ص ٦٢.
- <sup>١٣</sup> ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: حمدو طماس، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٦م)، ص ٦٦.
- <sup>١٤</sup> انظر: الجري، عباس، في الشعر السياسي، (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧٤م)، ص ٧٦١.
- <sup>١٥</sup> انظر: ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م)، مادة (ح ج ز).
- <sup>١٦</sup> الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، ج ٢، ص ٢١٨.
- <sup>١٧</sup> ولد محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان أبو نمي شريف حسني عام ٩١١هـ، وتولى إمارة مكة عام ٩٣١هـ، وتوفي سنة ٩٩٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ١٥، (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت)، ج ٦، ص ٥٢.
- <sup>١٨</sup> انظر: بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط ١، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٩٩٣م)، ج ٢، ص ٢٢٩٢٣٠.
- <sup>١٩</sup> انظر: الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م)، ج ٢، ص ٨٦١٨٦٢.
- <sup>٢٠</sup> انظر: السباعي، أحمد، تاريخ مكة، (مكة المكرمة: دار نمة للطباعة، ١٩٧٩م) ج ٢، ص ٥١٥.
- <sup>٢١</sup> انظر: دحلان، أحمد بن زيني، تاريخ أشراف الحجاز: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط ١، تحقيق: محمد أمين توفيق، (الكويت: دار الساقى، ١٩٣٣م)، ص ٧١٧٣.
- <sup>٢٢</sup> انظر: بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٩٩٣م)، ج ٢، ص ٣٤٦.
- <sup>٢٣</sup> انظر: السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٣٣٧.
- <sup>٢٤</sup> انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ط ١، تحقيق: محمد العروسي المطوي، (تونس: المكتبة العتيقة، ١٩٧٠م)، ص ٦٨.
- <sup>٢٥</sup> انظر: حمداوي، جميل، مدخل إلى المنهج السيميائي، نقلا عن: جان كلود كوكيه، مجلة عالم الفكر، الكويت: ج (٣)، مارس ١٩٩٧م، ص ٨.
- <sup>٢٦</sup> استخدمت كلمة آغا في الحجاز لتسمية مجموعة من الرجال الخصبان سخروا أنفسهم لخدمة الحرمين الشريفين. انظر: عبد الغني، عارف أحمد، تاريخ أمراء المدينة المنورة، (دمشق: دار كنان، ١٩٩٧م)، ص ٢٥٠، ٢٥٢؛ وانظر: نصر، أحمد عبدالرحيم، أغوات الحرمين الشريفين: دراسة تاريخية مقارنة، ط ١، (كوالالمبور: دار التجديد، ١٩٨٦م)، ص ١٥-١٦.
- <sup>٢٧</sup> وصلت أول حامية عسكرية عثمانية للمدينة ٩٣٩هـ من خمسين رجل لحراسة عمال بناء سور المدينة، ثم كونوا نواة القوة العسكرية التي تتألف من أربعة فرق أو ما يسمى بأوجقة الجيش وهم: (وجاق الإنكشارية): وهم أشد الفرق الشديدة المخصصة للحراسة، (وجاق النوبتجاية): وهم فرقة عسكرية من المشاة، (وجاق الإسماعيلية): وهم مجموعة الفرسان، (وجاق القلعة) وهم فرقة ترابط لحراسة قلعة المدينة. انظر: بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٣٨-٣٤٣؛ وانظر: الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين، ص ٤١١.
- <sup>٢٨</sup> هو: أحد أفراد وجاق النوبتجاية كان رجلاً شجاعاً مشهوراً، اشتهر ببيع الحبوب في باب المصري، قتله جماعة من أهل القلعة في دكانه سنة ١١٥٦م. انظر: بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٣٨-٣٤٣؛ وانظر: المدني، جعفر بن السيد حسين، الأخبار الغربية فيما وقع بطيبة الحبيبة، ط ١، (القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٩٩٣م)، ص ٣٨.

- <sup>٢٩</sup> وهو الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد يتصل نسبه إلى أبي نَمِي الأكبر الحسيني الهاشمي القرشي أمير مكة وسلطان الحجاز، ولد في حدود سنة ١١٦٧هـ في مكة المكرمة. توفي عام ١٢٠٢هـ. انظر: عبد الغني، عارف أحمد، تاريخ أمراء المدينة المنورة، (دمشق: دار كنان، ١٩٩٧م)، ص ٣٩١-٣٩٢.
- <sup>٣٠</sup> وهو جعفر البيتي السقاف باعلوي الحسيني، ولد بالمدينة سنة ١١١٠هـ، كان شاعراً مجيداً، وبرع في الطب. انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين، ص ١٢٣.
- <sup>٣١</sup> انظر: الحسيني، محمد بن رضي، الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر، (جدة: دار العلم، ٢٠٠٢م)، ص ١٧٦-١٨٢.
- <sup>٣٢</sup> البيتي، جعفر، ديوان البيتي السقاف، (الرياض: مخطوطات مكتبة جامعة الملك سعود، د.ت)، ص ٢٩.
- <sup>٣٣</sup> سورة الأنعام، الآية ٨٢.
- <sup>٣٤</sup> البيتي، جعفر، ديوان البيتي السقاف، ص ١٣.
- <sup>٣٥</sup> هو محمد بن سعيد بن سفر أمين ولد عام ١١٧٧هـ، سافر إلى تركيا لطلب العلم ومنها إلى مصر والشام، وأصبح خطيباً وإماماً، وكف بصره واشتغل بالتدريس توفي عام ١١٩٤هـ. انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين، ص ٢٨٣.
- <sup>٣٦</sup> الحسيني محمد بن رضي، الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر، ص ١٨٦.
- <sup>٣٧</sup> هو أحمد بن عمر بن حمزة البساطي، ولد سنة ١١٥١هـ، كان إماماً وخطيباً. انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين، ص ٩٦.
- <sup>٣٨</sup> الحسيني، محمد بن رضي، الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر، ص ١٩١-١٩٤.
- <sup>٣٩</sup> انظر: المدني، جعفر بن السيد حسين، الأخبار الغريبة فيما وقع في طيبة الحبيبة، ص ٩٨.
- <sup>٤٠</sup> البيتي، جعفر، ديوان البيتي السقاف، ص ١٥.
- <sup>٤١</sup> المرجع السابق، ص ١٣.
- <sup>٤٢</sup> الحسيني، محمد بن رضي، الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر، ص ١٨٦.
- <sup>٤٣</sup> السبت، عبد الرحمن بن أحمد، شاعر العهود الثلاثة عمر بن إبراهيم البري، ١، (جدة: النادي الأدبي، ٢٠٠٤م)، ص ٥٤.
- <sup>٤٤</sup> انظر: أبو بكر، عبد الرحيم، الشعر الحديث في الحجاز، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٧٧م)، ص ١١٣.
- <sup>٤٥</sup> هو إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأسكوي، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ، تربي في بيت علم وخلق فوالده تتلمذ على يد مشايخ المسجد النبوي الشريف، وأصبح بعد ذلك من أئمة. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ٢٩.
- <sup>٤٦</sup> الأسكوي، إبراهيم بن حسن، ديوان إبراهيم الأسكوي، ١، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٩م)، ص ٦٥.
- <sup>٤٧</sup> انظر: أبو بكر، عبد الرحيم، الشعر الحديث في الحجاز، (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٩م)، ص ١١٠.
- <sup>٤٨</sup> هو: عبد المحسن بن يعقوب الصحاف، شاعر عاش في بؤس ولد في البحرين عام ١٢٩١هـ، انتقل لمكة وتوفي فيها سنة ١٣٥٠هـ، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٤، ص ١٥٣.
- <sup>٤٩</sup> الفوزان، إبراهيم فوزان، الأدب الحجازي الحديث، (القاهرة: الخانجي، ١٩٨١م)، ج ١، ص ١٩٣.
- <sup>٥٠</sup> أبو بكر، عبد الرحيم، الشعر الحديث في الحجاز، ص ١١٢.
- <sup>٥١</sup> انظر: ريفاتي، ميشال، معايير تحليل الأسلوب، ص ٦٢.
- <sup>٥٢</sup> هو أحمد بن محمد بن غالب بن زيدون ولد في قرطبة كان وزيراً وسفيراً لأمراء الطوائف بالأندلس، اشتهر بحبه لولادة بنت المستكفي، وتوفي عام ٤٦٣هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ١٥٨.

## References

## المراجع

- 'abd Al-Ghani, 'arif 'ahmad, *Tarikh 'umara'a al-Madinah al-Munawwarah*, (Damascus: Dār Kinan, 1997).
- 'abu Bakr, 'abd al-Rahim, *al-Shi'r al-Hadīth Fī al-Hijaz*, (Cairo: al-Maṭba'ah al-Salafīyah, 1977).
- Al-Ahmar, Faisal, *Mu'ajam al-Semia'iyat, al-Dār al-'arabiyyah Lil'ulum*, (Algeria: Dār al-Ikhtilaf, 2010).
- Al-'anṣari, 'abd al-Rahman, *Tuḥfah al-Muḥibbīn Wa al-'aṣḥab Fī Ma'arifah Ma Lilmadniyyīn Min al-'ansab*, 1<sup>st</sup> Edition, Taḥqīq: Moḥammad al-'Arosi al-Matwi, (Tunisia: al-Maktabahah al-'atiqiyah, 1970).
- Al-'askubi, 'ibrāhīm Bin Hasan, *Diwān al-'askubi 'ibrāhīm*, 1<sup>st</sup> Edition, Taḥqīq: Moḥammad al-'īd al-Khaṭrawi, (al-Madinah al-Munawwarah: Maktabahah Dār al-Turath, 1989).
- Al-Baiti, Ja'afar, *Diwān Al-Baiti Al-Saqqaf*, (Riyadh: Makṭūṭat Jami'ah al-Malik Su'ud).
- Al-Fairoz 'ābadi, Majd al-Dīn Moḥammad, *al-Qamūs al-Muḥīṭ*, 8<sup>th</sup> Edition (Beirut: Mu'assasah al-Risalah, 2006).
- Al-Fawzan, 'ibrāhīm Fawzan, *al-'adab al-Ḥijazi al-Ḥadīth*, (Cairo: al-Khanji, 1981).
- Al-Ḥamawi, Shihab al-Dīn Yaḥyā, *Mu'ajam al-Buldan*, (Beirut: Dār Beirut, 1955).
- Al-Ḥussieni, Moḥammad Bin Raḍi, *al-Shi'r Fī al-Madiynah Fī al-Qarn al-Thani 'ashar*, (Jeddah: Dār al-'ilm, 2002).
- Al-Jarari, 'abbas, *Fī al-Shi'r al-Siasiy*, (Casablanca: Dār al-Thaqafah, 1974).
- Al-Khawajah, 'ibrāhīm Shehadah, *Shi'r Al-Ṣira' al-Siasi Fī al-Quarn Fī 12 H*, (Kuwait: Sharekat Kaẓim Lilnashr, 1984).
- Al-Madani, Ja'afar Bin al-Sayyid Ḥussien, *al-'akhbar al-Gharibah Fima Waqa'a Bi Ṭaibah al-H'abibah*, 1<sup>st</sup> Edition (Cairo: Maṭba'ah al-Khanji, 1993).
- Al-Sabt, 'abd Al-Rahman Bin 'ahmad, *Sha'ir al-'uhud al-Thalathah: 'umar Bin 'ibrāhīm al-Barri*, 1<sup>st</sup> Edition, (Jeddah: al-Nadi al-'ad'abiy, 2004).
- Al-Sarghini, Moḥammad, *Muḥāḍarāt Fī al-Simiolojia*, 1<sup>st</sup> Edition, (Casablanca, Dār 'afriqia al-Sharq, 1987).
- Al-Shinnawi, 'abd al-Aziz Moḥammad, *al-Daulah al-'uthmainiyyah Daula 'islamiyyah Muftara 'aliha*, (Cairo: Maktabahah al-'anjlo, 1986).
- Al-Siba'i, 'ahmad, *Tarikh Makkah*, (Makkah al-Mukarramah: Dār Numah Lilṭibā'ah, 1979).

- Al-Zirakli, Khair al-Dīn, *al- 'alām Qamūs Li'ashahar al-Rijal Wa al-Nisa' Min al-R'rab Wa al-Musta'ribīn Wa al-Mustashrqīn*, 15<sup>th</sup> Edition, (Beirut: Dār al'ilm Lilmalayīn, No Date).
- Bader, 'abd al-Baset, *al-Tarīkh al-Shamil Lilmadinah al-Munawwarah*, (al-Madinah al-Munawwarah: Markaz Buḥūth Wa Dirasāt al-Madinah al-Munawwarah, 1993).
- Bin'aiyyad, Moḥammad, "Simia'iyyah al-Khiṭab Wa Khiṭab al-Simia'iyyah", *Majallah 'ālamat al-'adabiyyah*, al-Maghrib, 'adad ( 29), 2008.
- Daḥlan, 'aḥmad Bin Zaini, *Tarikh 'ashraf al-Hijaz, Khulasah al-Kālam Fī Bayan 'umara' al-Balad al-Ḥaram*, 1<sup>st</sup> Edition, Taḥqīq: Moḥammad Amin Tawfiq (Kuwait: Dār al-Saqi, 1933).
- Dārfi, Zubair, *Muhadārat Fī al-lisaniyyat*, (Algeria: al-Maṭbu'at al-Jam'iyyah al-Markaziyyah Bin 'Ankon, No Date).
- Ferdinand, De Saussor. 1998. *Course in General Linguistics*. Translated by; Ray Harris, Duckworth, London.
- Ferdinand, De Saussor, *MuhaDārat Fī 'ilm al-Lisan al-'ām*, Tarjmaḥ: 'abd al-Qadir Qunaini, (Casablanca: Dār Tobqal, 1987).
- Hamdawi, Jamil, Madkhal 'ila al-Manhaj al-Simia'ai, 'An Jan Kloud Kokieh, *Majallah 'ālam al-Fikr*, Kuwait, 1997).
- Ibn 'abi al-Summaḥ, Duraid, *Diwān Duraid Bin 'abi al-Summaḥ*, Taḥqīq: 'umar 'abd al-Rasol (Cairo: Dār al-Ma'arif, 1980).
- Ibn 'abi Sulma, Zuhair, *Diwān Zuhair Bin 'abi Sulma*, Sharḥ: Hamdo Tammas, (Beirut: Dār al-Ma'arifah, 2006).
- Ibn Manzūr, Jamal al-Dīn, *Lisān al-'arab*, (Beirut: Dār Beirut, 1997).
- Naṣr, 'aḥmad 'abd al-rahim, *'aghawat al-Ḥaramain al-Sharifain: Dirāsah Tarikhiyyah Muqarinah*, 1<sup>st</sup> Edition, (Kuala lumpur: Dār al-Tajdid, 1986).
- Revater, Mishal, *Ma'ayyir Taḥlil al-'uskūb*, Tarjamaḥ: Ḥamid Laḥmdali, (Casablanca Dār al-Najaḥ, 1993).
- Van Diek, *'ilm al-Naṣ*, Tarjamaḥ: Sa'id al-Buḥairi, 1<sup>st</sup> Edition, (Cairo: Dār Cairo, 2001).